الْبَابُ الْخَامِسُ

(رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَشَاهِدُ مِنْ عَصْرِنَا)

وذلك من خلال المباحث التالية :

- **النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُقُوقُ الْمَرْأَةِ**
- **النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخَدَم**
- **رَحْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأطْفَال**
- **النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُقُوقُ الطِّفْل**
- **مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحترام الصغير**
- **محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والشباب**
- **مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِفْظُ النِّعْمَةِ**
- **مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِلاجُهُ لظاهرة الْغِشُّ**
- **النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُقُوقُ الْبِيئَةِ**
- **النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِلاجُهُ لمُشْكِلَةِ الْعُنْفِ وَالإِرْهَابِ**
- **النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِلاجُهُ لمشكلة الفقر والبطالة**
- **النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحقوق الإنسان**

الْبَابُ الْخَامِسُ

(رَسُولُ اللهِ وَمَشَاهِدُ مِنْ عَصْرِنَا)[١]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الأنبياء).

إِنَّ الرَّحْمَةَ لِشُمُولِهَا – لَيْسَتْ مُرْتَبِطَةً بِشَخْصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَاتِهِ، فَإِنْ مَاتَ مَاتَتْ مَعَهُ، وَإِنَّمَا هِيَ الرَّحْمَةُ نَابِعَةٌ مِنَ الرِّسَالَةِ ذَاتِهَا الَّتِي جَاءَ بِهَا هَذَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلِأَنَّ الرَّحْمَةَ مَبْدَأٌ، وَالْمَبْدَأُ أَمْرٌ ثَابِتٌ وَرَاسِخٌ، فَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ الرَّحْمَةُ - بِمَعْنَاهَا الْوَاسِعِ - قَدْ دُفِنَتْ حَيْثُ دُفِنَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ لَابُدَّ أَنْ تَتَنَاقَلَ الْأَجْيَالُ هَذِهِ الْمَبَادِئَ، وَيَتَوَارَثَهَا الْأَبْنَاءُ عَنِ الْآبَاءِ.

وَعَلَى الرَّحْمَةِ فَقِسْ بَاقِي الْمَبَادِئِ الْعَظِيمَةِ، وَالْقِيَمِ السَّامِيَةِ الَّتِي نَادَى بِهَا الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَالذَّوْقِ فِي التَّعَامُلِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْآخَرِينَ....

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ بَيْنَنَا بِمَبَادِئِهِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا، وَحَيٌّ بَيْنَنَا بِسُنَّتِهِ الَّتِي حَفِظَتْ لَنَا تِلْكَ الْمَبَادِئَ، وَحَيٌّ بَيْنَنَا بِسِيرَتِهِ الَّتِي طُبِّقَتْ مِنْ خِلَالِهَا تِلْكَ الْمَبَادِئِ.

وَنَحْنُ لَا نُرِيدُ الْعَوْدَةَ لِلْوَرَاءِ، بَلْ نُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا

---

١) استفدت في هذا الباب كثيرًا من كتاب أخي الدكتور راغب السرجاني بارك الله فيه. وكذلك من حلقات وكتب الاستاذ أحمد الشقيري مثل "ماذا لو كان المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رئيسًا" ؟.

لِيُشَاهِدَ عَصْرَنَا وَلِيُوَاجِهَ حَالَنَا، وَيُدَاوِيَ جُرُوحَنَا. نُرِيدُ أَنْ نَتَمَثَّلَ سِيرَتَهُ وَسُلُوكَهُ أَحْيَاءَ تَتَحَرَّكُ، وَشُخُوصًا تَنْطِقُ، وَمِنْ ثَمَّ تُصْبِحُ سِيرَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْهَجَ حَيَاةٍ نَعِيشُ وَفْقَهَا، فَتَعَالَوْا نَسْتَعْرِضْ بَعْضًا مِمَّا فِي وَاقِعِنَا لَنَتَخَيَّلَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ حَيٌّ أَمَامَنَا فَمَاذَا عَسَاهُ أَنْ يُوَاجِهَ ؟ وَمَاذَا عَسَاهُ أَنْ يَقُولَ ؟! صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

يَقُولُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْوِي لَهَا (صَفِيَّةُ) وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ نَظَرَ إِلَى أُحُدٍ فَقَالَ: **{ هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ...}**» (١)

يَا تُرَى لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَنَا الْآنَ فَمَاذا يكونُ الْحَالُ ؟

انْظُرْ فِي زَمَانِنَا الْمُعَاصِرِ عِنْدَمَا نَرَى أَحَدَهُمْ يَفْتَحُ بَابَ السَّيَّارَةِ لِفَتَاةٍ أَوْ سَيِّدَةٍ، سَرْعَانَ مَا يَتَبَادِرُ إِلَى ذِهْنِنَا الظَّنُّ السَّيِّءُ، وَنَقُولُ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ هَذَيْنِ غَيْرُ مُتَزَوِّجَيْنِ بَلْ هِيَ صَاحِبَتُهُ وَهُوَ صَدِيقُهَا!!

لِمَاذَا هَذَا الظَّنُّ، لِأَنَّنَا افْتَقَدْنَا هَذِهِ اللَّمَسَاتِ عِنْدَ الْمُتَزَوِّجِينَ... هَذَا حَالُنَا بَيْنَمَا نَجِدُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ رُكْبَتَهُ لِصَفِيَّةَ لِكَيْ تَرْكَبَ الدَّابَّةَ، أَيْ بِمَعْنًى عَصْرِيٍّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَحُ بَابَ السَّيَّارَةِ لِزَوْجَتِهِ !!!

لم يجعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هيبة النبوة سدًّا بينه وبين نسائه، وفي هذا تقول عائِشَةُ

---

١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٢٨٨٩) ، ومسلم برقم (١٣٦٥) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: { كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ }(١).

وتقول أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَزِيرَةٍ قَدْ طَبَخْتُهَا لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ ـ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ـ: كُلِي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: لَتَأْكُلِنَّ أَوْ لَأُلَطِّخَنَّ وَجْهَكِ، فَأَبَتْ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ، فَطَلَيْتُ وَجْهَهَا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعَ بِيَدِهِ لَهَا، وَقَالَ لَهَا: { الْطَخِي وَجْهَهَا } ، فَضَحِكَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا.... »(٢)

فيا دعاة حقوق الإنسان ! .. ويا أهل دعاوى حرية المرأة وصيانة حقوقها ! تدبَّروا هذا السلوكَ النبويَّ وقارنوه بسلوك يهود مع نسائهم! فقد كانت اليهود إذا حاضت امرأة منهن لم يؤاكلوها ، أو يشار بوها ، أو يجامعوها.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: « كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ »(٣)

ومعنى « وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ » : أي أنزع اللحم عن العظم بأسناني.

---

١) رواه أحمد برقم (٢٦١٩٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٩٩٦).

٢) رواه أبو يعلى في مسنده برقم (٤٤٧٦)، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣١٣١).الخَزِيرَةُ: لَحْمٌ يَقَطَّع صِغَارًا ويُصَبُّ عَلَيْهِ ماءٌ كَثِير، فَإِذَا نَضِج ذُرَّ عَلَيْهِ الدَّقيق، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا لَحْمٌ فَهِيَ عَصِيدَة. وَقِيلَ هِيَ حَسا مِنْ دَقِيقٍ ودَسَم. وَقِيلَ إِذَا كَانَ مِنْ دَقيق فَهِيَ حَرِيرَة، وَإِذَا كَانَ مِنْ نُخَالة فَهُوَ خَزِيرَةٌ. انظر النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٨).

٣) رواه مسلم برقم (٣٠٠) .

واليوم: نخبرك بما يحزن ويؤلم :

فَلَقَدْ أَظْهَرَتْ دِرَاسَةٌ حَدِيثَةٌ صَادِرَةٌ عَنْ مَحَاكِمِ (إِحْدَى الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ) أَنَّ ظَاهِرَةَ ضَرْبِ الزَّوْجاتِ فِي تَزَايُدٍ مُسْتَمِرٍّ، وَتَنْتَشِرُ بِشَكْلٍ أَكْبَرَ بَيْنَ فِئَةِ الشَّبَابِ الْمُتَزَوِّجِينَ حَدِيثًا، وَالَّذِينَ تَتَرَاوَحُ أَعْمَارُهُمْ بَيْنَ (٢٠ و٣٠) سَنَةً.

وَتُرْجِعُ الدِّرَاسَةُ أَسْبَابَ الْعُنْفِ ضِدَّ الزَّوْجةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ إِلَى أُمُورٍ بَسِيطَةٍ وَتَافِهَةٍ، كَتَأَخُّرِ الزَّوْجةِ فِي إِعْدَادِ الطَّعَامِ مَثَلًا.

وهذا التزايد الذي أظهرته الدراسة لا يعكس الرقم الحقيقي لظاهرة ضرب الزَّوْجات، فعدد كبير من حالات العنف الزَّوْجي يبقى طي الكتمان، ولا يتم إظهاره بحكم طبيعة المجتمع العربي وتقاليده.

ولقد أشار مسح ديموغرافي إلى أن أكثر من نصف النساء في إحدى الدول العربية، قد تعرضْنَ للضرب من أزواجهن مرة واحدة على الأقل خلال العام السابق للدراسة، وتبين من خلال رصد إحصائي لجرائم الشرف في هذه الدولة خلال الفترة من عام (١٩٩٨م) وحتى عام (٢٠٠١م) أن (٧٩٪) من هذه الجرائم تقع لمجرد الشكِّ في سلوك المرأة، وأن هذا الشكَّ أدَّى إلى القتل المتعمَّد.

وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ: الزَّوْج الَّذِي لَا سُلْطَةَ لَهُ عَلَى زَوْجَتِهِ إِلَّا بِالضَّرْبِ رَجُلٌ ضَعِيفُ الشَّخْصِيَّةِ.

فَمَا لَنَا لَا نَقْتَدِي بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خِلَافَاتِنَا الزَّوْجيَّةِ؟ لِمَ لَا نَسْتَدْعِي هَدْيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَعْرِضُ لَنَا مِنْ أُمُورٍ مع أَزْوَاجَنَا ؟

- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « جَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ وَتَنَاوَلَهَا، أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: فَحَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لَهَا يَتَرَضَّاهَا: **{ أَلَا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ }**، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا، قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ الله أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا، كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا »(١).

- وَتَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « **مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله ...**»(٢) .

فَيَا تُرَى لَوْ كَانَ بَيْنَنَا الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَيْفَ كَانَ سَيَتَعَامَلُ مَعَ زَوْجَاتِهِ؟

عِنْدَمَا نَقْرَأُ عَنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجَاتِهِ فَإِنَّنَا لَا نَقْرَأُ عَنْ مَلَائِكَةٍ، بَلْ عَنْ بَشَرٍ، يَجْرِى عَلَيْهِمْ مَا يَجْرِى عَلَى الْبَشَر، فَتَحْدُثُ بَيْنَهُمُ الْخِلَافَاتُ الزَّوْجِيَّةِ، وَتَقع اختلافات في وجهات النظر، وأحيانًا يحدث ما يؤدِّي إلى أن ترفع الزَّوْجة صوتَها على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما حصل مع أمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ليس باعتباره

---

١) رواه أحمد برقم (١٨٣٩٤)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (١٠٨)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٩٠١).

٢) رواه مسلم برقم (٢٣٢٨) .

نبيًّا، ولكن باعتباره زوجًا.

فما أجملَ هذا الحوارَ ! وما أنبل تلك القوامةَ النبويةَ في أسمى معانيها ! فقوامة الرجل ليست تسلُّطًا ولكن احتواء واحتضان.

وَلْتَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا يَجْلِدْ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ }**(١).

- قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ ؟ قَالَ: **{ أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تُقَبِّحِ الْوَجْهَ وَلَا تَضْرِبِ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ...}**(٢).

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان فِي بَيْتِهِ نِعْمَ الزَّوْج وَالْأَبُ الَّذِي يُحسِنُ فهمَ طبيعَةِ المرأة.

وإن أسعد الزيجات، تلك الْتي تُبنَي على أساس من التسامح والرفق والمودَّةِ.

* وَقْفَةُ تَدَبُّرٍ :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ** ﴾ (النساء:٣٤).

القوامة ليس معناها أن المرأة لن تخطئ معك أبدًا، ولن ترفع صوتها أبدًا! ولن تغضب أبدًا، ولكن القوامة معناها أن يملك الرجل الحِكمةَ والصبرَ في التعامل مع

---

١) رواه البخاري برقم (٥٢٠٤).

٢) رواه أبو داود برقم (٢١٤٢) ، وقال الألباني : حسن صحيح . في صحيح أبي داود.

المشكلات الزَّوْجية، ويقابل أخطاء زوجته وتقصيرَها بالرفقِ واللينِ، وأن يحتملها إذا فقدت أعصابَها، أو أخطأت أحيانًا، لأنها بشر { **كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ** }(١).

القوامة ليس معناها إلغاء شخصية المرأة في البيت، وإنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسَّسة الخطيرة، وصيانتها وحمايتها، أي أن القوامة عندنا تكليف وليست تشريفًا ؛ لهذا ما أجمل أن نفهمَها وفقًا لهَدْي نبيِّنا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ولْنعقِلْ أمرَنا، ولْنتدبَّرْ حالَ نبيِّنا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. فنار الغَيْرَة غير المنضبطة تحرِق البيوت بلا رَيْبٍ ، والواقع يخبرك.

- فقد شابٌّ عربيٌّ عينيه، وشُوِّه بشكل مخيف إثرَ حَرْقِهِ من قِبَلِ زوجتِه وإخوَتِها وهو نائِمٌ، خوفًا من أن يتزوَّج عليها، بينما نفَى الزَّوْج نيَّته الزَّواج عليها لأنه لا يملك المال.

- وأخرى كانت كثيرةَ الشُّكوك، شديدةَ الغَيْرَةِ على زوجها، فإذا خرج، أو ضرب موعدًا، أو تكلَّمَ في الهاتِف، أو حرَّر رسالة، أو أطرق مفكِّرا، أو بدا منشرِحًا، أو أرسلَ ابتسامةً... أيقنت أن هناك امرأةً في حياته سِواها، وقد عجزت عن أخذ نفسها بالحِكمة، واستئصال تلك الغَيْرَةِ المَرَضِيَّةِ إلى أن حَرَمَتْ نفسَها مِن زوجِها، بطلبها الطلاق منه.

---

١) رواه ابن ماجه برقم (٤٢٥١)، والحاكم في المستدرك برقم (٧٦١٧)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

•• ومن أعراض الغيرة المذمومة:

١- تشديد الزَّوْج أو الزَّوْجة كثيرًا على تصرُّفات الآخر بلا مبرر شرعي، والانشغال بحركاته وسكناته، وتفتيش ملابسه.

٢- اختلاق أمور وهمية، مثل الاعتقاد الجازم بوجود علاقة مع شخص معين.

٣- كثرة الشكِّ والمراقبةِ والتحقيقِ والأسئلةِ الكثيرةِ.

٤- التفتيشُ عن آثارِ هذا الشخصِ المزعومِ في البيتِ وفي العملِ.

ولنا في نبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة:

- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: **{ غَارَتْ أُمُّكُمْ }**، ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ »(١).

- وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا، قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: **{ مَا لَكِ؟**

---

١) رواه البخاري برقم (٥٢٢٥).

يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟ } فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ »[١]

- وقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ، حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: { مَا لَكِ؟ يَا عَائِشُ، حَشْيَا رَابِيَةً } قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: {لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: { فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟ }. قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قَالَ: { أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ؟ } قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ، نَعَمْ، قَالَ: { فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي، فَأَخْفَاهُ مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ، فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ }، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ { قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ،

---

١) رواه مسلم برقم (٢٨١٥).

وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ }» (١).

ما أحسنَ الغَيْرَةَ في حينِها ! وأقبحَ الغَيْرَةَ في كل حين !

مشكلتنا اليوم أننا نريد أن نُلغِيَ الغَيْرَةَ، أو نكون من أصحاب الغَيْرَةَ المذمومة! وهذا خطأ كبير، ومنه تكون المشكلات الأسرية، لأن الغَيْرَةَ طبيعة إنسانية، وفطرة بشرية، وما فعله الحبيبُ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان قِمَّةً في كل شيء ، قِمَّةً في مراعاة مشاعر الزَّوْجة، وقِمَّةً في الأدب وحسن تناول الموضوع، وقِمَّةً في الصبر والرِّفق واللين، وقِمَّةً في تفهُّم طبيعة المرأة .

فالمطالبة بإلغاء الغَيْرَةِ ليس حلًّا، وسنُّ القوانين التي تَحُدُّ من القِوامة الشرعيَّة للرجل ليست السبيل لاستقرار الأسرة، وكرامة المرأة، وإنما الحَلُّ في أن نتعلَّم كيفية التعامل معها !

ولْيتخيَّلْ كل منَّا اليوم، لو فعلت زوجته ما فعلته عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في هذه القِصَّة مع الرسول !! كيف سيكون رد الفعل؟

وصدق ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: « الغَيْرَةُ خلقٌ فاضلٌ مركَّبٌ منَ النَّجْدَةِ والعَدْلِ »(٢).

***

١) رواه مسلم برقم (٩٧٤).
٢) رسائل ابن حزم رقم (١١٩)، (١/ ٣٧٤).

* مبحث: النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَحُقُوقُ الْمَرْأَةِ :(١)

أَحَاطَ الْإِسْلَامُ الْمَرْأَةَ بِالرِّعَايَةِ وَالتَّكْرِيمِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ، ابْنَةً وَزَوْجَةً وَأُخْتًا وَأُمًّا. فَقَرَّرَ الْإِسْلَامُ أَوَّلًا أَنَّ الْمَرْأَةَ وَالرَّجُلَ خُلِقَا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ؛ وَلِهَذَا فَالنِّسَاءُ وَالرِّجَالُ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ سَوَاءٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء).

وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ }(٢)، أَيْ: نُظَرَاؤُهُمْ وَأَمْثَالُهُمْ، وكَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: {... اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا }(٣). وَتَكَرَّرَتْ مِنْهُ هَذِهِ النَّصِيحَةُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ يُخَاطِبُ الْآلَافَ مِنْ أُمَّتِهِ.

وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ: وَلِكَيْ نُدْرِكَ سُمُوَّ شَأْنِ الْمَرْأَةِ فِي دِينِنَا لِنَنْظُرَ كَيْفَ كَانَتْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ؟

- كانوا في الجاهلية إذا رُزِق الرجلُ بجاريةٍ قام بدفنها حيَّةً خشيةَ العارِ والفَقْرِ ! قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ

---

١) انظر: "أسوة للعاملين" ص (٧٤)، وما بعدها .

٢) رواه الترمذي برقم (١١٣)، وأبو داود برقم (٢٣٦)، وأحمد برقم (٢٦١٩٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٩٨٣).

٣) رواه البخاري برقم (٣٣٣١)، ومسلم برقم (١٤٦٨).

﴿٥٩﴾ (النحل).

فَجَاءَ الْإِسْلَامُ، فَقَبَّحَ هَذَا الْفِعْلَ، حَيْثُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ (التكوير)، بَلْ جَعَلَهُ النَّبِيُّ مِنْ أَعْظم الذنوب:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: { أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ }. قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: { وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ }. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: { أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ } »(١).

- ولم يقف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحفاظ على حقها في الحياة عند هذا الحد، وإنما رغَّب في الإحسان إليها صغيرة، فقال: { مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ شيئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ }(٢).

- وكانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجعل للنساء يومًا للوعظ والتذكير، والأمر بطاعة الله تعالى.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: { مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا

---

١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٤٤٧٧)، ومسلم برقم (٨٦).
٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٩٩٥)، ومسلم برقم (٢٦٢٩).

حِجَابًا مِنَ النَّارِ }. فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ ؟ فَقَالَ: { وَاثْنَتَيْنِ }(١).

- وعندما تَشِبُّ البنتُ وتصيرُ فتاةً بالغةً، يُعطيها الرسولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الحقَّ في الموافقةِ على الخاطبِ أو رفضِه، ولا يجوزُ إجبارُها على الاقترانِ برجلٍ لا تريدُه، وقد قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ذلك: { لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ }. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ إِذْنُهَا ؟ قَالَ: { أَنْ تَسْكُتَ }(٢).

- وعندما تصبح زوجةً يحثُّ الرسولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الزَّوْجَ على حُسنِ معاملتِها وعِشْرَتِها، مبيِّنًا أن حسن عشرة النساء دليل على نُبْلِ نفسِ الرجلِ وكريمِ طِباعِه، فيقولُ مرغِّبًا: { إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنَ الْمَاءِ أُجِرَ }(٣).

ويقول مُرَهِّبًا: { اللهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ }(٤).

- وإذا ما كرِهت الزَّوْجة زوجَها ولم تُطِقِ الحياةَ معه، فقد أجَازَ لها الرسولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حقَّ مفارقةِ الزَّوْجِ، وذلك عن طريق الخُلْعِ.

---

١) رواه البخاري برقم (١٠١).
٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥١٣٦)، ومسلم برقم (١٤١٩).
٣) رواه أحمد برقم (١٧١٥٥) وقال شعيب الأرناءوط: صحيح بشواهده، وقال الألباني: حسن لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب رقم (١٩٦٣).
٤) رواه ابن ماجه برقم (٣٦٧٨)، وأحمد برقم (٩٦٦٦)، والحاكم برقم (٢١١) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٤٤٦).
ومعنى: أحرِّج: أي أُلحِق الحرجَ والإثمَ بمن ضيَّعهما، فأحذِّره من ذلك تحذيرًا بليغًا، وأزجره زجرًا أكيدًا، انظر: فيض القدير المناوي: ٣/ ٢٧.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: « جَاءَتْ امْرَأَةُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَنْقِمُ عَلَى ثَابِتٍ فِي دِينٍ وَلاَ خُلُقٍ، إِلَّا أَنِّي أَخَافُ الكُفْرَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { فَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟ } فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَرَدَّتْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَهُ فَفَارَقَهَا »(١).

- في حين أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت للمرأة ذمَّة ماليَّة مستقلَّة تمامًا كالرجل؛ فلها أن تبيعَ وتشتريَ، وتستأجرَ وتؤجِّرَ، وتوكِّلَ وتَهَب، ولا حَجْرَ عليها في ذلك ما دامت عاقلةً رشيدةً، وذلك انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ (النساء: ٦).

- ولما أجارت أمُّ هانئ بنتُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رجلين من المشركين، وأبى أخوها عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أن يقتلَهما، كان قضاءُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الحادثة قوله: { قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ }(٢).

وهكذا تعيش المرأة المسلمة عزيزةً أبيَّة كريمةً في ظلِّ تعاليم رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فأين هذه الرحمة في واقع المسلمين؟ أين هذا الهدي من عقول الذين يحاربون شرعَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويريدون تشريع قوانينَ بزعمِ حريةِ المرأةِ وحقوقِ المرأةِ ؟ .. فَلْنتخَلَّقْ بأخلاقِ النبيِّ، ولْنَقْتَدِ بهدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!

***

١) رواه البخاري برقم (٥٢٧٦).
٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٣٥٧)، ومسلم برقم (٣٣٦).

* **مبحث: النَّبيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **والخَدَم** :

الخَدَم ظاهرة اجتماعية مركبَّة، يصعب إصدار حكم واحد ينطبق على كل أفرادها، وهي تحمل العديد من الإيجابيات والسلبيات، وقد أشارت الإحصائيات في إحدى البلاد العربية أن عمل الخادمة في مجال رعاية الأطفال يتنوَّع ليشمل:

- إطعام الطفل (١٦.٨٪)
- تربية الأطفال (١٦.٤٪)
- المذاكرة للأطفال (٢٪)

وأكدت الإحصائيات أن (٧٣٪) من الخادمات يشاركن في الإشراف على تربية الأطفال، بينما ذكرت أن (٣٤.٥٪) منهن ينام الطفل معهن دائمًا.

وفيما يتعلَّق بـ "ردود فعل الخادمة إزاء تصرفات وسلوكيات الطفل" قالت الدراسة إن:

- (٢٢٪) من الخادمات لا يفعلن شيئًا إذا امتنع الطفل عن الأكل.
- وأن (٢٨.٢٪) منهن لا يفعلن شيئًا إذا تبول الطفل.
- بينما (١٣.٣٪) يقمن بمعاقبته.
- (٥٥.٨٪) يقمن بتحذيره وتخويفه.

أما بالنسبة لـ "تقليد الطفل الدائم للخادمة" فقد أشارت الدراسة إلى أن:

- (٥٧.١٪) من الأطفال يقلدون الخادمات في طريقة الكلام.

- وأن (١٤.٣٪) يقلدونهن في تأدية العبادة.
- وأن (١٦.١٢٪) يقلدونهن في متابعة الأفلام الهندية.
- وأن (٧.٦٪) يقلدونهن في الرقص.

• توجد أعداد كبيرة من الخادمات برفقة الأطفال، ولو سألتَ عن الأم أو الأب ستجيبك هذه الخادمة فورًا "بابا... ماما مشغول"...

وصدق من قال: كلما خدمنا الأطفال... ألحقنا بهم الضرر، لأننا نكون بذلك جعلناهم يعتمدون على غيرهم(١).

ولْنتدبَّرْ ما جاء عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: { عَلَى مَكَانِكُمَا } فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: { أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا - أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا - فَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ }(٢).

---

١) انظر: "ماذا لو كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيننا؟". أحمد الشقيري.
٢) رواه البخاري برقم (٥٣٦١).

قال ابن بطال: « لما منعهما الخادمَ وقصرهما على الذكر عُلِم أنه إنما اختار لهما الأفضلَ عند الله »(١).

وكما قيل: كلما استخدمنا خدمًا أصبحنا أسرى لهم، وإذا أردنا أن نكون أحرارًا يجب أن نقول دائمًا إنني لا أحتاج إلى خدَم لأنني لست عليلًا .

يا ترى لو تخيلْنا الحبيبَ المصطفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليوم ورأى اعتماد الكثير من الأمهات شبه الكامل على الخَدَم فماذا سيكون رده فعله ؟

*** الواقع الأليم :**

- تحكي الخادمة السريلانكية "كوسوما" قصة حياتها في إحدى الدول العربية قائلة: « عندما سألتُ سيدة البيت الذي أعمل به دفْع أجرتي بعد ثلاثة أشهر من الخَدَمة انهالت عليَّ ضرْبًا ورفْسًا بقضيب حديدي وعصًى خشبية ».

- وتوصَّلت دراسة أعدتها جامعة كولومبو في الأونة الأخيرة مفادها: أن (٢٥٪) من الخادمات السريلانكيات واجهن مشاكل من قبيل الاعتداء عليهن، أو عدم دفع أجورهن خلال وجودهن في الخارج.

- ومما يُحكَى أن التعذيب الذي تعرَّضتْ له إحدى الخادمات من سيِّدها المسلم وزوجته لمدة شهر كامل أدى إلى حالة موت كاملة لأعضائها، ترتَّب عليها قرار الأطباء في مستشفى الشميسي بالرياض بتْرُ أطرافِها الأربعة (اليدَين والقدَمَين)

---

١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٢٣).

بعد إصابتها بالغرغرينا. وحسب المعلومات المتوفرة فقد قام صاحب العمل بربط خادمته، في فناء المنزل الخارجي لمدة شهر كامل تحت أشعة الشمس، وقام خلال تلك المدة بضربها بأسياخ الحديد، وتكسير أسنانها وقطع شفاهها [١].

فأين هذا من هَدْيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

قَالَ أَنَسُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادمُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **كَانَ رَسُولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا**، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَالله لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: { **يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟** } قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ الله »[٢].

ويقول أيضًا: « خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلاَ: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلاَ: أَلَّا صَنَعْتَ »[٣].

وفي رواية: قالَ: « فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ »[٤].

---

١) العربية – نت.

٢) رواه مسلم برقم (٢٣١٠)، وانظر: "ماذا لو كان النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيننا؟" أحمد الشقيري.

٣) رواه البخاري برقم (٦٠٣٨)،

٤) رواه مسلم برقم (٢٣٠٩).

وفي رواية : « خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فَتَوَانَيْتُ عَنْهُ، أَوْ ضَيَّعْتُهُ، فَلَامَنِي، فَإِنْ لَامَنِي أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ: **{ دَعُوهُ، فَلَوْ قُدِّرَ - أَوْ قَالَ: لَوْ قُضِيَ - أَنْ يَكُونَ كَانَ }** »(١).

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: « كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: **{ اِعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، للهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ }**، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله، فَقَالَ: **{أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ}** ، أَوْ **{ لَمَسَّتْكَ النَّارُ }** »(٢)

وصدق من قال: من مدَّ يده بالإحسان إلى الناس نفذت كلمتُه فيهم، ومن بَخِلَ عليهم حُرِم انقيادَهم له.

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ ••• فَطالَمَا مَلَكَ القُلُوبَ إِحْسَانُ

فإذا استحضرْتَ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وتخيَّلْتَهُ أمامَكَ فماذا ستفعلُ بخادِمِك الذي اضطرَّتْهُ الحاجة لامتهان هذه المهنة ؟

يا تُرَى لو تصوَّرْتَ أن النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دخل منزلك الآن، وكان ضيفًا عندَك، تُرَى كيف ستعامل خدمَك الآنَ ؟

ومما يزيد الأمر وضوحًا تدبُّرنا لِهَدْيِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في تقديم الحقوق للخدم

---

١) رواه أحمد برقم (١٣٤١٨).
٢) رواه مسلم برقم (١٦٥٩).

وللعمال فلقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأسوة الحسنة في هذا الباب، ومِنْ دلائل ذلك[١]:

- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ** }[٢].

فجاء تصريح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ**}، ليرتفع بدرجة العامل الخادم إلى درجة الأخ! ولتصبح هذه الضوابط العامة التي توفِّر الحياة الكريمة لبني الإنسان عمومًا.

وقوله: { **وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ** }: فيه النهي لأصحاب الأعمال عن تكليفهم بأكثر من طاقتهم في العمل.

- كما رغَّب في التخفيف عنهم بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ مِنْ عَمَلِهِ كَانَ لَكَ أَجْرًا في موازينك** }[٣].

- وألزم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك صاحب العمل أن يوفِّيَ للعاملِ والخادمِ أجرَه المكافئ لجهده دون ظلم أو مماطلة.

---

١) انظر: "أسوة للعاملين" ص (٨١)، وما بعدها .

٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٢٥٤٥)، ومسلم برقم (١٦٦١)، و خولكم: خدمكم.

٣) رواه ابن حبان في صحيحه عن عمرو بن حريث برقم (٤٣١٤)، وأبو يعلى برقم (١٤٧٢)، وهو حديث مرسل، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح على شرط مسلم إلى عمرو بن حريث، وعمرو بن حريث تابعي ثقة ليست له رؤية. انظر صحيح ابن حبان بتحقيقه (١٠/ ١٥٣).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ }**(١).

- وحذَّر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ظُلمهم فقال : **{ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ }**، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **{ وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ }**(٢).

وفي الحَدِيثِ القُدسِيِّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **{ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ }**(٣).

وهنا أسأل كلَّ صاحبِ عملٍ ... مصنعٍ ... مَتْجَرٍ ... مدرسةٍ .. ماذا ستقول لربِّك إذا ظلمتَ بعضَ عمَّالِك؟

وما حظُّك من الاقتداءِ بِالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مثل هذا؟ ما أحرانا أن نستدْعِيَ هدْيَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كي تَطيبَ حياتُنا ويَرشُدَ سلوكُنا.

- ومن الحقوق التي تعتبر علامة مضيئة في الشريعة الإسلامية حقُّ الخادم في التواضع معه، وفي ذلك يرغِّب الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمَّتَه قائلًا: **{ مَا اسْتَكْبَرَ مَنْ**

---

١) رواه ابن ماجه برقم (٢٤٤٣)، وقال الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح (٢٩٨٧).
٢) رواه مسلم برقم (١٣٧).
٣) رواه البخاري برقم (٢٢٢٧).

أَكَلَ مَعَهُ خَادِمُهُ، وَرَكِبَ الْحِمَارُ بِالْأَسْوَاقِ، وَاعْتَقَلَ الشَّاةَ فَحَلَبَهَا }[١].

وهنا أذكر قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله... »[٢].

- وَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْتَمُّ بِرِعَايَةِ خَدَمِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي يَحْرِصُ فِيهَا عَلَى زَوَاجِهِمْ.

فَعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَخْدِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: {يَا رَبِيعَةُ أَلَا تَتَزَوَّجُ؟} قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَالله مَا عِنْدِي مَا يُقِيمُ امْرَأَةً وَمَا أُحِبُّ أَنْ يَشْغَلَنِي عَنْ خِدْمَتِكَ شَيْءٌ، ثُمَّ قَالَ لِي يَوْمًا آخَرَ: {يَا رَبِيعَةُ أَلَا تَتَزَوَّجُ؟}، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَالله لَرَسُولُ اللهِ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُنِي مِنْ أَمْرِ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي مِنِّي، وَالله لَئِنْ قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّالِثَةَ لَأَقُولَنَّ نَعَمْ، فَقَالَ لِي الثَّالِثَةَ: {يَا رَبِيعَةُ أَلَا تَتَزَوَّجُ؟}، قَالَ: قُلْتُ: لِيَصْنَعْ رَسُولُ الله مَا شَاءَ فَقَالَ: { انْطَلِقْ إِلَى آلِ فُلَانٍ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ...}[٣].

وقد امتدَّت رحمتُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَدَمِه لتشمل غير المؤمنين به أصلًا، وذلك كما فعل مع الغلام اليهودي الذي كان يعمل عنده خادمًا، فقد مرِضَ الغلام

---

١) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٥٥٠) بتحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، وقال الألباني: حسن. انظر: صحيح الجامع (٥٥٢٧).

٢) رواه مسلم برقم (٢٣٢٨).

٣) رواه أحمد برقم (١٦٥٧٧)، والحاكم في مستدركه برقم (٢٧١٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأبو داود الطيالسي في مسنده برقم (١٢٦٩).

مرضًا شديدًا، فظلَّ النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يزورُه ويتعهَّدُه، حتى إذا شارف على الموت عاده، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: { أَسْلِمْ }، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: { الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ }[1]!

فيا جماعاتِ حقوقِ الإنسانِ .. ويا نقاباتِ العمَّالِ.

كَمْ أَضَعْنَا الْعُمْرَ فِي مَتَاهَاتٍ وَمُطالَباتٍ .

كَمْ أَهْدَرْنَا مِنَ الْمَالِ فِي قَوَانِينَ وَتَشْرِيعَاتٍ .

لِمَ ضَلَلْنا عن هذا الهَدي ؟ وما الذي حَجَبَنا عن الاهتداء بهذا النُّور ؟

*** آبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ :**

يَقُولُ أحدهُم : مَاذَا أَفْعَلُ مَعَ أَبِي الَّذِي يَضْرِبُنِي ؟

وَتقُولُ أخرَى: كُلُّ الْمُعَانَاةِ أَنَا تَحَمَّلْتُهَا... أبِي مِنَ النَّوْعِ الْقَاسِي جِدًّا... أُحِسُّ أَنَّ قَلْبَهُ حَجَرٌ.. مَا أُرِيدُ أَشْتُمُهُ لَكِنَّ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ.. كَانَ يَضْرِبُنِي وَأَنَا صَغِيرَةٌ بِالسِّلْكِ.

ويُضيفُ ثالثٌ: أبي بالنسبة لي بنكٌ وشرطيٌّ، ينفق عليَّ وإذا ما رأيته فثم النَّهْر والسَّبُّ كأننَّا في قسم شرطة.

يا تُرَى لو أتَى الحبيبُ المصطفَى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اليومَ: ماذا كان سيقول لهذه

---

١) رواه البخاري برقم (١٣٥٦) .

القلوب المتحجِّرة التي تتعامل مع أطفالها بوحشيَّة، معاملةً ربَّما تلقَى الحيواناتُ أفضلَ منها ؟!

أبعدَ هذا نستغرِبُ ضياعَ الشبابِ، وانفلاتَ البناتِ، وكُرْهَ أبنائِنا لنا ؟!

إن النبيَّ الكريم الرحيم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مثالًا حيًّا صادقًا تتجلى فيه الرحمة بجميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الأنبياء).

ونقتصر من ذلك على ما يتعلَّق بالأطفال :

* **رَحْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأطفال** :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « **قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ** وَالْأَقْرَعُ بْنَ حَابِسٍ التَّمِيمِيَّ جَالِسٌ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: **{ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ }**» (٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ**

---

١) رواه مسلم برقم (٢٣١٦).
٢) متفق عليه : رواه البخاري برقم (٥٩٩٧)، ومسلم برقم (٢٣١٨).

الرَّحْمَةَ }(١).

وَعَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا « أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ صَبِيًّا فِي حِجْرِهِ يُحَنِّكُهُ، فَبَالَ عَلَيْهِ، فَدَعَا مَاءَ فَأَتْبَعَهُ »(٢).

وعَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: « كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى فَخِذِهِ الْآخَرِ، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ **{ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا }** »(٣).

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ: إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ، فَأْتِنَا. فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: **{ إِنَّ لله مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ }**. فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا. فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ، قَالَ حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ: كَأَنَّهَا شن. فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدُ: يَا رَسُولَ الله مَا هَذَا؟ فَقَالَ: **{ هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ }**(٤).

- وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمازِحُ الغِلمانَ الصِّغارَ؛ رحمةً بهم وتودُّدًا إليهم :

---

١) رواه البخاري برقم (٥٩٩٨).
٢) رواه البخاري برقم (٦٠٠٢).
٣) رواه البخاري برقم (٦٠٠٣).
٤) متفق عليه: رواه البخاري برقم (١٢٨٤)، ومسلم برقم (٩٢٣).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ، قَالَ: كَانَ فَطِيمًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَآهُ، قَالَ: { **أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ** } قَالَ: فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ »(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْلِعُ لِسَانَهُ لِلْحُسَيْنِ، فَيَرَى الصَّبِيُّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ، فَيَهَشُّ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ: أَلَا أَرَاهُ يَصْنَعُ هَذَا بِهَذَا، فَوَالله إِنَّهُ لَيَكُونُ لِيَ الْوَلَدُ قَدْ خَرَجَ وَجْهُهُ وَمَا قَبَّلْتُهُ قَطُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمُ** } »(٢).

- كما تجلَّت رحمته بالأطفال وأمهاتهم حتى في داخل الصلاة :

• فها هو يَقصُر الصلاةَ ولا يُطيلُ رحمةً بأمٍّ يبكي طفلُها ، ورحمةً بهذا الطفل:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ** }(٣).

• وها هو يُطِيل أحيانًا في بعض الأركان رفقًا بهم :

---

١) متفق عليه : رواه البخاري برقم (٦١٢٩) ، ومسلم برقم (٢١٥٠) ، واللفظ له.
٢) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٦٩٧٥)،
٣) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٧٠٩)، ومسلم برقم (٤٧٠).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: **{ كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ }** »(١).

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِأَبِي العَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا »(٢).

• ثُمَّ تَجِدُهُ وَهُوَ فِي وَسَطِ الْخُطْبَةِ: يَرَى الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ وَهُمَا يَعْثُرَانِ، فيقطع كلامه ويَنْزِلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي وَسَطِ الْخُطْبَةِ، فَيَحْمِلُهُمَا ثُمَّ يَعُودُ بِهِما إلى المِنْبَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: **{ صَدَقَ اللهُ ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾. رَأَيْتُ هَذَيْنِ يَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ**

---

١) رواه أحمد برقم (١٦٠٣٣)، والنسائي برقم (١١٤١)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن النسائي.
٢) رواه البخاري برقم (٥١٦) ، ومسلم برقم (٥٤٣) .

كَلَامِي فَحَمَلْتُهُمَا }[١].

أَيُّ رَحْمَةٍ هَذِهِ؟ ! وَأَيُّ قَلْبٍ هَذَا؟!

وَإِلَيْكَ المَزِيدُ ....

***

* **النَّبيّ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **وَحُقُوقُ الطِّفْلِ**:[٢]

لَقَدْ نَالَ الْأَطْفَالُ مِنْ عِنَايَةِ الرَّسُولِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ النَّصِيبَ الْأَوْفَى:

فَأَوْجَبَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَهُمْ حُقُوقًا أَعْظَمُ مَا فِيهَا أَنَّهَا اهْتَمَّتْ بِهِ قَبْلَ وِلَادَتِهِ، وَقَبْلَ أَنْ يَصِيرَ جَنِينًا ، وكذا بَعْدَ وِلادَتِهِ :

• فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الرجلَ المُقدِم على الزواج باختيار الزَّوْجة الصالحة ذات الدين، فقال: **{ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ }**[٣].

• كَمَا أَمَرَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الزَّوْجةَ بِاخْتِيَارِ زَوْجِهَا عَلَى الْمِعْيَارِ وَالْأَسَاسِ نَفْسِهِ، فَقَالَ: **{ إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي**

---

١) رواه أصحاب السنن الأربعة: أبو داود برقم (١١٠٩)، والترمذي برقم (٣٧٧٤)، والنسائي برقم (١٤١٣)، وابن ماجه برقم (٣٦٠٠)، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح هذه الكتب بنفس الأرقام.

٢) انظر: "أسوة للعاملين" ص (٧٧)، وما بعدها.

٣) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ }(١).

فَاخْتِيَارُ الزَّوْجةِ الصَّالِحَةِ (الْأُمِّ) مِنْ حُقُوقِ الطِّفْلِ عَلَى أَبِيهِ؛ لِيَنْشَأَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أُسْرَةٍ مُتَحَابَّةٍ، تَعِيشُ فِي ظِلِّ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ.

• ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا حَمَلَتِ الْأُمُّ بِالطِّفْلِ، فَقَدْ أَجَازَ لَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفِطْرَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ رَحْمَةً بِهَا وَبِهِ.

• وَإِذَا مَا وُلِدَ الطِّفْلُ فَقَدْ سَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَذَانَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَالْإِقَامَةَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى؛ لِتَكُونَ الشَّهَادَةُ بِالْكِبْرِيَاءِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ لله عَزَّ وَجَلَّ أَوَّلَ مَا يَقْرَعُ سَمَعَ الطِّفْلِ فِي الْحَيَاةِ.

• وَقَدْ أَوْجَبَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّسْمِيَةَ الْحَسَنَةَ لِلطِّفْلِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ، وَذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوقِظَ فِي وِجْدَانِ الطِّفْلِ الْعِزَّةَ وَالْفَخَارَ بِاسْمِهِ وَاحْتِرَامَ ذَاتِهِ، وَكَذَلِكَ يُبْعِدُهُ عَنْ سُخْرِيَةِ النَّاسِ وَاسْتِهْزَائِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ: عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا: حَارِثُ وَهَمَّامُ، وَأَقْبَحُهَا، حَرْبٌ وَمُرَّةُ }**(٢).

• وَسَنَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلطِّفْلِ الْمَوْلُودِ أيضًا الْعَقِيقَةَ(٣)، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

١) رواه الترمذي برقم (١٠٨٤)، وابن ماجه برقم (١٩٦٧)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي.
٢) رواه أبو داود برقم (٤٩٥٠)، وأحمد برقم (١٩٠٣٢)، وقال الألباني: صحيح دون قوله: { تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ }. انظر: صحيح أبي داود بنفس الرقم.
٣) معناها ذبح الشاة عن المولود يوم السابع من ولادته ، وحكمها سنة مؤكدة.

{ مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَنْسُكَ عَنْهُ فَلْيَنْسُكْ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ }(١). وَكَأَنَّ الْمُجْتَمَعَ الْإِسْلَامِيَّ كُلَّهُ يُشَارِكُ الْوَالِدَيْنِ فَرْحَتَهُمَا بِالْمَوْلُودِ الْجَدِيدِ.

• وَقَدْ تَنَزَّلَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ بِحُقُوقِ الطِّفْلِ فِي الرِّضَاعَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

وَلَا يَخْفَى أَنَّ الرَّضَاعَةَ عَمَلِيَّةٌ لَهَا أَثَرُهَا الْبَعِيدُ فِي التَّكْوِينِ الْجَسَدِيِّ، وَالْعَاطِفِيِّ، وَالِاجْتِمَاعِيِّ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ.

• ومن ناحية أخرى حثَّ الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تحرِّي العدل في المعاملة بين الأبناء، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ }(٢).

• وكذلك كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينصح الآباءَ بقوله: { .. لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ }(٣) . فإذا صاحبت هذه الدعوة ساعة إجابة، فإنها

---

١) رواه أبو داود برقم (٢٨٤٢)، والنسائي برقم (٤٢١٢)، وأحمد برقم (٦٨٢٢) وقال شعيب الأرناءوط: إسناده حسن. والحاكم برقم (٧٥٩٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الألباني: صحيح. انظر: السلطة الصحيحة برقم (١٦٥٥).

٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٢٥٨٧)، ومسلم برقم (١٦٢٣).

٣) رواه مسلم برقم (٣٠٠٩).

تكون سببًا في شقاء الولد طِيلة حياته.

• كَمَا تَمَتَّعَ الطِّفْلُ فِي الْإِسْلَامِ مُنْذُ وِلَادَتِهِ بأهلية كاملة، يكون له بموجبها الحق في الميراث والوصية والوقف والهِبة، وغير ذلك، وهذه الأهلية تثبت له فور انفصاله عن أمه حيًّا ؛ لقول النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِذَا اسْتَهَلَّ الْمَوْلُودُ وُرِّثَ** }(١).

• وَبِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ سَنَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَ رِعَايَةَ الطِّفْلِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْوِجْدَانِيَّةِ؛ وَذَلِكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ وَمُلَاعَبَتِهِ وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِ، كَمَا ذَكَرْنَا سَابِقا فِي تَعَامُلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ.

• وَكَذَلِكَ سَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَ رِعَايَتَهُ علميًّا وتعبُّديًّا، وَاحْتِرَامَهُ وَتَشْجِيعَهُ عَلَى الصَّرَاحَةِ، وَحُسْنَ اخْتِيَارِ صُحْبَتِهِ، وَالدُّعَاءَ لَهُ، إِضَافَةً إِلَى رِعَايَتِهِ مِنَ النَّاحِيَةِ السُّلُوكِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَبِهَذِهِ الْمَبَادِئِ وَالْقِيَمِ يَكُونُ الطِّفْلُ أَكْثَرَ تَكَيُّفا مَعَ وَسَطِهِ الِاجْتِمَاعِيِّ.

فَهَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصْحَبُ ابْنَهُ عَبْدَ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَجْلِسِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِيَتَعَلَّمَ فِي وَاقِعِ عَمَلِيٍّ الْأَدَبَ وَاحْتِرَامَ الْآخَرِينَ.

فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟** }. فَوَقَعَ النَّاسِ

---

١) رواه أبو داود برقم (٢٩٢٠)، وابن ماجه (٢٧٥٠)، (٢٧٥١)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود بنفس الرقم. ومعنى استهلَّ: أي رفع صوته بالبكاء والصراخ أو العطس بعد ولادته مباشرة، انظر: لسان العرب، مادة هلل ١١/ ٧٠١.

فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ. قَالَ عَبْدُ الله: فَاسْتَحْيَيْتُ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنَا بِهَا. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { هِيَ النَّخْلَةُ }. قَالَ عَبْدُ الله: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا »(١).

هَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَطْفَالُنَا الْقِيَمَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْحَاكِمَةَ لِلْمُجْتَمَعِ تَعْلِيمًا تَدْرِيجِيًّا، فَيَتَهَيَّأُ لَهُمْ رُوَيْدًا رُوَيْدًا الدُّخُولُ فِيهِ.

وَلَا نَجِدُ أَجْمَلَ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي تَرَبَّى عَلَى يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَخْتَتِمَ بِهِ؛ حَيْثُ قَالَ: « كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { **يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ** } فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ» (٢).

فَيَا كُلَّ أَبٍ وَيَا كُلَّ أُمٍّ... لِمَ لَا نَرْعَى نِعْمَةَ الله عَلَيْنَا وَنُؤَدِّي شُكْرَهَا بِحُسْنِ التَّرْبِيَةِ، وَجَمِيلِ الرِّعَايَة، وَعَظِيمِ التَّعَهُّدِ وَالنُّصْحِ؟ مَالَنَا لَا نَتَأَسَّى بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَحْمَتِهِ وَعَطْفِهِ وَبِرِّهِ مَعَ الْأَطْفَالِ؟! مَاذَا لَوْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَحْدُثُ لِأَطْفَالِنَا مِنْ تَعْذِيبٍ وَتَدْمِيرٍ وَاسْتِغْلَالٍ عَلَى يَدِ عِصَابَاتِ الشَّرِّ وَالْخَرَابِ؟ .. أَيْنُ قُلُوبُنَا أَمْ أَيْنَ عُقُولُنَا ؟ أَمْ إِلَى أَيْنَ نَسِيرُ ؟

***

١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (١٣١)، ومسلم برقم (٢٨١١).
٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٣٧٦)، ومسلم برقم (٢٠٢٢).

* **محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **واحترام الصغير**: (١)

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا** }(٢).

لو كان هناك ولد يشتري من بقالة، ثم جاء رجل كبير بعده، فهل سيحترم الكبير دور الصغير؟ ترى لو كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيننا اليوم ماذا كان سيفعل في مثل هذا الموقف؟.

انظروا إلى هذه القصة الرائعة التي تظهر احترام الرسول لدور الطفل الصغير:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ القَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: { **يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ** } ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ »(٣).

تخيَّلوا هذا المشهد بكل تفاصيله، فالرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستأذن - من طفل صغير في مجلسه وأمام الناس - أن يُعطي الكبار، لأن الطفل كان على يمين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والكبار عن يساره، والسُّنة أن يعطي الذي على اليمين أولًا.

تأمَّلوا كيف احترم الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رغبةَ الصَّغير، وأعطاه القدح قبل

---

١) انظر: "أسوة للعاملين" ص (٨٥) وما بعدها.
٢) رواه أحمد برقم (٦٧٣٣)، والترمذي برقم (١٩٢٠)، وقال: حديث حسن صحيح.
٣) رواه البخاري برقم (٢٣٥١).

الكبار، احترامًا لحقِّه في الدَّوْرِ !

إذا أردنا أن ينشأ أطفالنا ويصبحوا رجالًا فعلينا أن نعاملهم كالرجال منذ سنٍّ مبكِّرةٍ، وهذه رسالة هامة للأهل أو من كان لديه أخٌ صغير، نقول: لا تَسْتَصْغِرْ سِنَّهُ، فالصغير قادر على فهم الأمور، وتحمُّل المسؤولية إذا أُعطِيَ الفرصة في ذلك، ولك في الرسول أسوة :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ**، وَقَالَ: « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ »(١) .

وَمِمَّا يَلْحَقُ بِالصَّغِيرِ رِعَايَةُ كُلِّ ضَعِيفٍ كَالْيَتِيمِ وَالْمِسْكِينِ وَالْأَرْمَلَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩** ﴾ (الضُّحَى)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦** ﴾ (الإسراء).

وَيُؤَكِّدُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُمُوَّ قَدْرِ رِعَايَةِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ** }(٢).

اللهُ أَكْبَرُ !! مَا أَعْظَمَ هَذَا الثَّوَابَ !!

---

١) رواه البخاري، برقم (٦٢٤٧).

٢) رواه البخاري برقم (٥٣٥٣)، ومسلم برقم (٢٩٨٢)، والأرملة: التي مات عنها زوجها، ويطلق على المحتاجة، انظر: فتح الباري (١/ ١٢٥).

كَمَا حَثَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتِيمِ، وَاعِدًا فاعلَهُ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ؛ فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا }**، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا (١).

بَلْ بَلَغَتْ دَرَجَةُ الرِّفْقِ وَالرَّحْمَةِ بِالْيَتِيمِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَغَّبَ أَفْرَادَ الْأُمَّةِ أَنْ يَضُمُّوا الْيَتَامَى إِلَى أَوْلَادِهِمْ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ }**(٢).

وَلَمْ يَقْتَصِرْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التَّشْجِيعِ فِي رِعَايَةِ وَكَفَالَةِ الْيَتَامَى، وَإِنَّما ذَهَبَ في سَبِيلِ ذَلِكَ إِلَى وَسَائِلَ أُخْرَى أَكْثَرِ تَرْغِيبًا؛ فَتَرَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِرَجُلٍ أَتَى إِلَيْهِ يَشْكُو قَسْوَةَ قَلْبِهِ: **{ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ }**(٣).

وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى حَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ظُلْمِ الْيَتَامَى وَأَكْلِ حَقِّهِمْ، فَقَالَ: **{ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ... }** - وذكر منها - **وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ }**(٤).

---

١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٣٠٤)، ومسلم برقم (٢٩٨٣). وكافل اليتيم: القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية، وغير ذلك، انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٣٦).

٢) رواه أحمد (١٩٠٢٥) وقال شعيب الأرناءوط: حديث صحيح لغيره، والطبراني في الكبير برقم (٦٩٩)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٨٨٢).

٣) رواه أحمد (٧٥٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (٧٠٩٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٤١٠).

٤) رواه البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩). والموبقات: المهلكات.

كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَغِّبا فِي إِنْفَاقِ الْمَالِ عَلَى الْمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {..**وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ**..}(١).

وَنَجِدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أيضًا- يَذُمُّ طَعَامَ الْوَلِيمَةِ الَّذِي يَحْضُرُهُ الْأَغْنِيَاءُ وَلا يُدْعَى إِلَيْهِ الْفُقَرَاءُ مِنَ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى إِلَيْهِ الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْمَسَاكِينُ، فَمَنْ لَمْ يَأْتِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ** }(٢).

وَلَمْ يَكْتَفِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَإِنَّمَا نَصَّبَ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى مَسْئُولِيَّةِ وِلَايَةِ الْيَتَامَى وَالْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْلِنُهَا كَحَاكِمٍ دَوْلَةٍ: { **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَيُّكُمْ مَا تَرَكَ دَيْنًا، أَوْ ضَيْعَةً، فَادْعُونِي فَأَنَا وَلِيُّهُ، وَأَيُّكُمْ مَا تَرَكَ مَالًا، فَلْيُؤْثَرْ بِمَالِهِ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانَ** }(٣).

وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَ النَّاسِ إِلَى تَطْبِيقِ مَا يَقُولُ، فَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ**

---

١) رواه البخاري برقم (١٤٦٥).

٢) رواه البخاري برقم (٥١٧٧)، ومسلم برقم (١٤٣٢)، واللفظ له.

٣) رواه البخاري برقم (٢٢٩٨)، ومسلم برقم (١٦١٩) واللفظ له، والضَّيْعَة: العيال المحتاجون الضائعون.

الْحَاجَةَ }(١).

هَكَذَا أَرْسَى الْإِسْلَامُ قَوَاعِدَ التَّعَامُلِ مَعَ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ، وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ مُطَبِّقٍ لِهَذِهِ الْقَوَاعِدِ؛ فَكَانَ الْمَثَلَ وَالْقُدْوَةَ الرَّحِيمَةَ، فَمَا أَعْظَمَهُ ! وَمَا أَجْدَرَهُ بِالِاقْتِدَاءِ وَالِاتِّبَاعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !.

***

* **محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **والشباب** :

يَا تُرَى لَوْ كَانَ بَيْنَنَا الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ كَانَ سَيَتَعَامَلُ مَعَ الشَّبَابِ الَّذِي يُعَاكِسُ وَيُغَازِلُ ؟

يَا أَحِبَّتِي: إِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا مَلَائِكَةً، بَلْ كَانُوا بَشَرًا، يُصِيبُونَ وَيُخْطِئُونَ ، لَكِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّاهُمْ تَرْبِيَةً فَذَّةً، تَجْعَلُهُمْ يَنْدَمُونَ إِذَا أَخْطَئُوا، وَيَسْتَغْفِرُونَ إِذَا أَذْنَبُوا، وَكَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْذِبُهُمْ إِلَيْهِ بِلُطْفٍ وَلِينٍ حَتَّى لَا يُنَفِّرَهُمْ !

لَيْسَ الْفَرْقُ الأساس بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ لَا يُخْطِئُونَ وَنَحْنُ نُخْطِئُ، أَوْ أَنَّهُمْ لَا يُذْنِبُونَ ونحْنُ نُذْنِبُ(٢)!، لَكِنَّ الْفَرْقَ هو أَنَّ الصَّحَابَةَ إِذَا أَذْنَبُوا تَابُوا،

---

١) رواه النسائي في سننه برقم (١٤١٤)، وابن حبان (٦٤٢٤) وقال شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني في المعجم الصغير برقم (٤٠٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٠٠٥).

٢) يقينًا هناك فروق كثيرة ليس هذا موضع ذكرها.

وَوَجَدُوا مَنْ يَحْتَضِنُهُمْ، بَيْنَمَا نَحْنُ - فِي الْغَالِبِ - نُخْطِئُ وَلَا نُبَالِي.

وَلْتَتَدَبَّرْ ما يَلِي:

• عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « كَانَ الفَضْلُ بْنُ العَبَّاسِ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ، فَجَعَلَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ ؟ قَالَ: { **نَعَمْ** } ، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ »(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ الْعَبَّاسِ: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِّكَ؟ قَالَ: { **رَأَيْتُ شَابًّا وَشَابَّةً، فَلَمْ آمَنِ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا** }(٢).

• وَيَحْكِي الصَّحَابِيُّ (أَبُو الْيَسَرِ) وَيَقُولُ: أَتَتْنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْرًا، فَقُلْتُ: إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْرًا أَطْيَبَ مِنْهُ، فَدَخَلَتْ مَعِي في البيتِ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَقَبَّلْتُهَا، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: « اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ، وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا »، فَلَمْ أَصْبِرْ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: { **أَخْلَفْتَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا؟** }، حَتَّى تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إِلَا تِلْكَ السَّاعَةَ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: وَأَطْرَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوِيلًا حَتَّى أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: ﴿ **وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ** ﴾ (هود: ١١٤).. إِلَى قَوْلِهِ ﴿ **ذِكۡرَىٰ**

---

١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (١٥١٣)، ومسلم برقم (١٣٣٤).

٢) رواه أحمد برقم (٥٦٢)، والترمذي برقم (٨٨٥)، وقال : حديث حسن صحيح.

لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ أَبُو الْيَسَرِ: فَأَتَيْتُهُ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ الله، أَهَذَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: {بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةً}(١).

أَيُّهَا الْمُرَبُّونَ ... أَيُّهَا الْآبَاءُ... هَلْ رَبَّيْتُمْ أَبْنَاءَنَا عَلَى الصَّرَاحَةِ الْمُهَذَّبَةِ كَيْ يُقِرُّوا بخطئهم دون خوف؟ انظر إلى (أبو اليَسَرِ) كيف توجَّه للرسولِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليبلغه عن ذنبه؛ لأنه يعلم أن الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سيحتضِنُهُ، وسيوجِّهُهُ فضلًا عَنْ أنه سَيَسْتُرُه !!

***

* **مُحَمَّدٌ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **وَحِفْظُ النِّعْمَةِ**:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْـمَةٍ فَارْعَـهَا ••• فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ

وَحَافِظْ عَلَيْهَا بِتَقْوَى الْإِلَهِ ••• فَإِنَّ الْإِلَـهَ سَـرِيعُ النِّقَـمْ

• عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الْبَيْتَ فَرَأَى كِسْرَةً مُلْقَاةً فَأَخَذَهَا فَمَسَحَهَا ثُمَّ أَكَلَهَا، وَقَالَ: { **يَا عَائِشَةُ أَكْرِمِي كَرِيمًا، فَإِنَّهَا مَا نَفَرَتْ عَنْ قَوْمٍ قَطُّ، فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ** }(٢)، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **أَكْرِمُوا الْخُبْزَ. وَإِنَّ كَرَامَةَ الْخُبْزِ أَنْ لَا يُنْتَظَرَ بِهِ** }(٣).

---

١) رواه الترمذي برقم (٣١١٥)، وقال: حسن غريب.

٢) رواه ابن ماجه برقم (٣٣٥٣)، وضعَّفه الألباني في ضعيف ابن ماجه.

٣) رواه الحاكم في مستدركه برقم (٧١٤٥)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

كَمْ هُوَ جَمِيلٌ أَنْ نُعَلِّمَ أَوْلَادَنَا أَنْ لَا يَتْرُكُوا طَعَامًا فِي الصُّحُونِ، وَأَنْ يَحْفَظُوا نِعْمَةَ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ.

***

* **مُحَمَّدٌ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَعِلاجُهُ لِظاهِرَةِ الْغِشِّ**:(١)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ فِي النَّارِ }**(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: **{ مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ }**، قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **{ أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي }**(٣).

اليوم نتحدث عن الغِشِّ، ونحفظ الأحاديث التي تنهَى عن الغشِّ، ولكن مع الأسف قليلون هم الذين يتقون ربهم فلا يَغُشُّون إذا فتح لهم المجال، وهذا دليل على أنه يجب علينا أن نعيد نشر مبدأ الأمانة في الأمة من جديد، ليصبح ثقافة مجتمع، وسلوك أفراد، وليس فقط مجرد أحاديث تُحفَظ عن ظهر قلب، دونما تطبيق.

---

١) هذا وما بعده مستفاد من كتاب "أسوة للعاملين" ص (٨٤) وما بعدها.
٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٠٢٣٤)، وابن حبان في صحيحه برقم (٥٥٥٩)، وأصل الحديث في صحيح مسلم برقم (١٠١).
٣) رواه مسلم برقم (١٠٢).

الطالب الذي يغُشُّ هو غيرُ مستشعرٍ قُبْحَ ما يقوم به من عمل، وغير مستشعرٍ وجود ملائكة معه تكتب ما يفعل، ومن المصائب التي ابتُلينا بها أن الطالب الذي لا يغُشُّ، ينظر إليه نظرة احتقار وازدراء واستغراب من أصدقائه، وهذا قلب للموازين، حيث يصبح المحسِن محتقَرًا ومنبوذًا، وهذا يلزمنا بإعادة هيكلة ثقافتنا، وتربية شبابنا على الأمانة، والبعد عن كافة أشكال الغِشِّ.

وذلك يجب أن يكون بشكل عمليٍّ، وليس عن طريق كثرة المواعظ وحفظ الأحاديث فقط، فكثير منَّا يحفظ قوله { **مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا** }، ولكن من الذي يعيش هذا الحديث في حياته اليومية...؟

سَلُوا التاجرَ.. الطبيبَ.. المحاميَ.. القاضيَ.. المعلمَ.. المشرفَ.. إلخ :

أين هي الأمانة في القول والعمل؟ ماذا لو جاءكم في عملكم رسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ؟ أيسرُّكم أن تقابلوه ؟ أم...؟ أُصْدُقوا... تنالوا الأجر.

وَذُو الغِشِّ مَرْهُوبٌ، وذُو النُّصْحِ آمِنٌ

وَذُو الطَّيْشِ مَدْحُوضٌ، وَذُو الحَقِّ يفْلَجُ

***

* **النَّبيُّ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **وَحُقُوقُ الْبيئَةِ**:

لَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْبِيئَةَ نَقِيَّةً، سَلِيمةً، نَافِعَةً، وَسَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ، وأَوْجَبَ عَلَيْهِ ضَرُورَةَ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا؛ كَمَا دَعَاهُ إِلَى ضَرُورَةِ التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللهِ الْكَوْنِيَّةِ، الَّتِي خُلِقَتْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا**

وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ (ق). فَنَشَأَتْ عَلَاقَةُ حُبٍّ وَوُدٍّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبِيئَةِ الْمُحِيطَةِ بِهِ مِنْ جَمَادٍ وَأَحْيَاءٍ، كَمَا أَدْرَكَ أَنَّ الْمُحَافَظَةَ عَلَى الْبِيئَةِ نَفْعٌ لَهُ فِي دُنْيَاهُ؛ لِأَنَّهُ سَيَحْيَى حَيَاةً هَادِئَةً، وَفِي آخِرَتِهِ حَيْثُ ثَوَابُ اللهِ الْجَزِيلُ.

- فَهَا هُوَ ذَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ قَاعِدَةً عَامَّةً لِكُلِّ الْبَشَرِ الَّذِينَ يَحْيَوْنَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، وَهِيَ التَّحْذِيرُ مِنْ تَلْوِيثِ الْبِيئَةِ، فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبُرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ }**(١).

- وَجَعَلَ إِمَاطَةَ الْأَذَى مِنْ حُقُوقِ الطَّرِيقِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَحَابَتِهِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقِ: **{ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ }**، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: **{ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا }**، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: **{ غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ }**(٢). وَكَفُّ الْأَذَى كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ مَا فِيهِ إِيذَاءُ النَّاسِ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُونَ الشوارع والطرقات.

- كما نجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يربط بين ثواب الله والمحافظة على البيئة فيقول: **{ عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ**

---

١) رواه أبو داود برقم (٢٦) واللفظ له، وأحمد برقم (٢٧١٥)، وابن ماجه برقم (٣٢٨)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١١٢).

٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٢٤٦٥)، ومسلم برقم (٢١٢١).

عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ }(١).

- ويأمرنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صراحة بنظافة المساكن، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ }(٢).

فما أروعَ التعاليمَ النبوية التي تحثُّ على الحياة الطيبة الخالية من أي نوع من أنواع الملوِّثات؛ فتحافظ بذلك على راحة الإنسان النفسية والصحية.

- كما نهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تلويث المياه، وذلك بمنع التبول في الماء الراكد(٣).

هذه هي نظرة النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للبيئة.

واليوم ماذا لو رآنا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورأى شوارعَنا ومنازلَنا بل وبعض مساجدِنا؟ أهؤلاء أتباعُه حقًّا؟ ، أهؤلاء مقتدون به كما ينبغي صدقًا؟ ، وماذا عن الذين استهزءوا بحملة الرئيس المصري (محمد مرسي) (وطن نظيف)، بل وحرَصوا على إلقاء القمامة، في الشوارع والسخرية ممن يجمعها.

أهؤلاء هُمُ النُّخْبَةُ كما يقال ؟ أهؤلاء جديرون بِشَرَفِ الاِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ مَاذَا لَوْ رَآهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

---

١) رواه مسلم برقم (٥٥٣).
٢) رواه الترمذي برقم (٢٧٩٩)، وحسَّنه الألباني، انظر: مشكاة المصابيح برقم (٤٤٨٧).
٣) انظر ما رواه مسلم برقم (٢٨١).

أَلَا تَبًّا لِقَوْمٍ اتَّبَعُوا الشَّيَاطِينَ وَاتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَرَسُولِهِ والمؤمنين.

***

* النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِلاجُهُ لِمُشْكِلَةِ الْعُنْفِ وَالإِرْهَابِ:(١)

لَمْ يَكُنِ الْمُجْتَمَعُ الَّذِي عَاشَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَحْسَنَ حَالا مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَالَمِيَّةِ الآنَ؛ فَمُشْكِلَةُ الْعُنْفِ وَالإِرْهَابِ كَانَتْ مُتَجَذِّرَةً فِيهِ، وَكَأَنَّهَا حَقٌّ مِنَ الْحُقُوقِ، فَهَا هُوَ ذَا جَعْفَرُ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصِفُ لِلنَّجَاشِيِّ حَالَ الْمُجْتَمَعِ غَيْرِ الْمُسْلِمِ فِي قُرَيْشٍ قَائِلا: « أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا عَلَى الشِّرْكِ؛ نَعْبُدُ الأَوْثَانَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَسْتَحِلُّ الْمَحَارِمَ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ وَغَيْرِهَا، لَا نُحِلُّ شيئًا وَلَا نُحَرِّمُهُ... »(٢).

وَمِنْ ظَوَاهِرِ تَأَصُّلِهَا فِي الْمُجْتَمَعِ: وَجُودُ ظَاهِرَةِ (وَأْدِ الْبَنَاتِ)؛ لِذَلِكَ قَالَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنَّ اللهَ حَرَّمَ ثَلَاثًا، وَنَهَى عَنْ ثَلَاثٍ، حَرَّمَ عُقُوقَ الْوَالِدِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَلَا وَهَاتِ، وَنَهَى عَنْ ثَلَاثٍ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ }**(٣).

مِنْ هُنَا فَجَدِيرٌ بِنَا وَبِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يَتَدَبَّرَ الْحَلَّ النَّبَوِيَّ لِتِلْكَ الْمُشْكِلَةِ، وَكَيْفِيَةَ التَّدَرُّجُ فِي ذَلِكَ :

---

١) مستفاد من كتاب "أسوة للعاملين" ص (١٦٥)، وما بعدها.
٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٠١) ، وانظر : السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٠).
٣) رواه مسلم برقم (٥٩٣).

- فَبَدَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلَّهُ لِهَذِهِ الْمُشْكِلَةِ بِغَرْسِ خُلُقِ الْمُرَاقَبَةِ فِي نُفُوسِ أَصْحَابِهِ؛ كَيْ لَا يُمَارِسَ عُنْفًا أَوْ إِرْهَابًا؛ لِأَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَرَقِيبٌ عَلَى سَرَائِرِهِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ: **{ اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ }**(١).

- ثُمَّ يَنْتَقِلُ الْحَلُّ النَّبَوِيُّ لِلْمُشْكِلَةِ نَقْلَةً أُخْرَى، وَذَلِكَ بِنَظْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُجْتَمَعِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَعِيشَ فِيهِ الْإِنْسَانُ، فَهُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْقِيَمِ يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا الْمُجْتَمَعُ :

• **مِنْهَا: إِشَاعَةُ رُوحِ الرِّفْقِ وَالْعَدْلِ بَيْنَ أَبْنَائِهِ،** لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **{ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ }**(٢). وَكَانَتْ سِيرَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُدْوَةَ وَالْمَثَلَ فِي ذَلِكَ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ مُتَعَلِّقًا بِهِ هُوَ شَخْصِيًّا.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللهُ، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: **{ مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ }**، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: **{ أَوَلَمْ**

---

١) رواه أحمد برقم (٦١٥٦) وقال شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، والطبراني: المعجم الكبير برقم (١٧١٣١) ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٧٣).
٢) رواه مسلم برقم (٢٥٩٣).

تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ }(١).

• وِمِنْهَا: قِيمَةُ الرَّحْمَةِ مَعَ الْمُخْطِئِينَ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْقِيَمِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَنْشَأَ الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ فِي ظِلِّهَا؛ لِأَنَّهَا تَخْلُقُ نوْعًا مِنَ التَّعَامُلِ الرَّحِيمِ الْبَعِيدِ كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ الْعُنْفِ وَالْإِرْهَابِ، وَلْنَنْظُرْ إِلَى سِيرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنُدْرِكَ عَظَمَةَ هَذِهِ الْقِيمَةِ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ }**، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: **{ إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ }**، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ »(٢)

فَهُوَ هُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُلُّ الْمَوْقِفَ بِرِفْقٍ تَامٍّ مَنَعَ فِيهِ الصَّحَابَةَ مِنَ الْعُنْفِ مَعَ الْمُخْطِئِ، وَعَلَّمَهُ دَرْسًا هَادِئًا رَقِيقًا دُونَ تَخْوِيفٍ وَلَا تَرْهِيبٍ.

---

١) رواه البخاري برقم (٦٠٣٠)، ومسلم برقم (٢١٦٥). والسام: الموت.

٢) رواه البخاري برقم (٦٠٢٥)، ومسلم برقم (٢٨٥)، واللفظ له.

الأعرابي: قيل: هو ذو الخويصرة اليماني، أو ذو الخويصرة التميمي، أو الأقرع بن حابس- مَهْ مَهْ: كلمة للزجر- لا تُزْرِموه: لا تقطعوا عليه بولَه- شَنَّه: صبَّه وسكبه.

• وِمِنْهَا: قِيمَةُ الْوَسَطِيَّةِ وَالِاعْتِدَالِ، وَعَدَمِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ }**(١). فَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ بَابُ يَقُودُ إِلَى الْعُنْفِ والسعي إلى إلزام المخالف رأيه بالقوة.

• **ثُمَّ تَأْتِي قِيمَةُ الْمُسَالَمَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ وَإِشَاعَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ :**

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: **{ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ }**(٢).

وَلَكِنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكْتَفِي بِهَذِهِ الْقِيَمِ الْمُجْتَمَعِيَّةِ الرَّاقِيَةِ فَقَطْ لِحَلِّ مُشْكِلَةِ الْعُنفِ وَالْإِرْهَابِ، بَلْ يُؤَكِّدُ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي تَسُدُّ بَابَ الْعُنْفِ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَتُشِيعُ رُوحَ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ:

– فَهَا هُو ذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يأمر أمته بإفشاء السلام بينهم** ، سواء كانوا في الشارع أو البيت أو المصعد أو التاكسي ، أو في أي مكان .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟**

---

١) رواه البخاري برقم (٣٩).
والغدوة: سير أول النهار– والروحة: السير بعد الزوال– والدلجة: سير آخر الليل.
٢) رواه مسلم برقم (٤٠).

أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ }(١).

ثم نحن نتساءل : مَا فَائِدَةُ حِفْظِ هَذَا الحَدِيْثِ إِذَا لَمْ يُطَبَّقْ عمليًّا ؟

ثُمَّ نَتَعَجَّبُ لِمَاذَا تُوجَدُ الْكَرَاهِيَةُ بَيْنَ النَّاسِ.. لَا شَكَّ أَنْ أَحَدَ أَسْبَابِ تِلْكَ الْكَرَاهِيَةِ أَنَّنَا لَا نَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهٍ سَمِحٍ مُبْتَسِمٍ.. لا شكَّ أَنَّ مَشَاغِلَ النَّاسِ وَمَشَاكِلَهُمْ قَدْ تَسْلُبُهُمُ الِابْتِسَامَةَ أحيانًا، لَكِنَّ بَسْطَ الْوَجْهِ وَالتَّفَاؤُلَ، يُسَاعِدُكَ عَلَى تَقَبُّلِ مَشَاكِلِكَ، وَيَجْعَلُ النَّاسَ يُعَامِلُونَكَ بِشَكْلٍ أَفْضَلَ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { **إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَضَعَهُ اللهُ فِي الْأَرْضِ فَأَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ** }(٢).

- وها هو النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَي أمتَه عن العنف مع النساء، ويقول: { **لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللهِ** } فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ** }(٣).

---

١) رواه مسلم برقم (٥٤).

٢) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٩٨٩)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (١٠٣٩١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٦٣٩).

٣) رواه أبو داود برقم (٢١٤٦)، والحاكم برقم (٢٧٦٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه ، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود.

- وها هو النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَنْهَي كذلك عن العنف مع الخَدَم.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: { اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، للهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ } ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله، فَقَالَ: { أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ }(١).

- كما نَجِدُه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يحرِّم قتلَ النفس وسفكَ الدم المعصوم؛ بل وجعل ذلك من كبائر الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (الإسراء:٣٣)، ثم يؤكِّد على عظم هذه الجريمة تنفيرًا للنفوس من ارتكابها بقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ }(٢).

فاشتراك أهل السماء والأرض في قتل رجل واحد جريمة عظيمة عند رب العالمين، تستحق دخولهم النار جميعًا.

- ويحرم كذلك ترويع الآمنين؛ بسدِّ كل المنافذ والأبواب والذرائع التي قد تكون وسيلة للترويع؛ فقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : { مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ

---

١) رواه مسلم برقم (١٦٥٩) .

٢) الترمذي عن أبي سعيد الخدري: كتاب الديات، باب الحكم في الدماء (١٣٩٨)، وقال عنه: "هذا حديث غريب..." والحاكم (٨٠٣٦)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع (٥٢٤٧).

الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّه }(١). ففي ذلك تأكيد على حرمة المسلم، ونهيٌ شديد عن ترويعه وتخويفه، والتعرُّض له بما قد يؤذيه، وهذا التحريم يشمل المسلم وغير المسلم، وسيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير شاهد على ذلك، فها هو ذا زيد بن سعنة اليهودي يأتي إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليطلب دينا له عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيأخذ زيد بمجامع قميصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينظر إليه بوجه غليظ، ويقول لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ. قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيْ عَدُوَّ اللهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَسْمَعُ وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ، ثُمَّ قَالَ: **{ إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ. اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ }**»(٢).

- كما نجِدُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهَى عن الترويع وإن كان من باب الفكاهة.

---

١) رواه مسلم برقم (٢٦١٦).

٢) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٨٨)، والحاكم (٢٢٣٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: مرسل.

- المطل في الحق والدَّين: تطويل العدة التي يضربها الغريم للطالب- فوته: هو فوت رضا الله ورسوله، لأن ما فعله لا يحل دمه- والتباعة: ما اتبعت به صاحبك من ظلامة ونحوها.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا }(١).

وسط هذا المجتمع يعيش الإنسان هادئًا آمنًا، ولكن النفس البشرية غير السوية لن تصلح إلا بتشريعات وقوانين تردع كل من تسوِّل له نفسه ترويع المجتمع، أو الخروج عن السلوك السوي، ومن هذه التشريعات: حدُّ القصاص وحدُّ البَغي، وحدُّ الحرابة.

فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾ (المائدة).

وكان تطبيق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه التشريعات تطبيقًا حازمًا؛ لأن الأمر يتعلق بسلامة المجتمع وأمنه.

ولم يكن الحلُّ النبويُّ لمشكلة العنف والإرهاب مبنيًّا على تحصين المجتمع المسلم داخليًّا فقط، بل امتدت نظرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتشمل العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين؛ فنجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في معظم أحواله - يبحث عن الطرق السلمية والهادئة للتعامل مع المخالفين له، حتى وإن كانوا في حالة حرب معه،

---

١) رواه أبو داود برقم (٥٠٠٤)، وأحمد (٢٣٠٦٤)، وصحَّحه الألباني، انظر: غاية المرام (٤٤٧).

فكانت وصيَّته لِقُوَّاده دائمًا: {.. وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغُلُّوا ..}(١).

وكان يحرِص صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك على تجنُّب الحرب ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، فقال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أعطاه الراية في غزوة خيبر: { انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ }(٢).

هذا هو الرسول المكرم والنبي المعلم ، نبي الرحمة ونبي الملحمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واليوم أتساءل: عن الذين يدمِّرون قِيَمَنا، ويقْضُون على أخلاقِنا... ويُفزِعون الأشراف في منازلهم بدعوى حرية الإبداع والفن والرأي ... أليس ما يذاع اليوم في بعض إعلامنا هو نوع من الإرهاب الفكري؛ وذلك لتشويه صورة الحق وأهله؟!

***

١) رواه أبو داود برقم (٢٦١٤)، والبيهقي: السنن الكبرى برقم (١٨١٥٣)، وابن أبي شيبة: المصنف برقم (٣٣١١٨)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٤٥٠).

٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٣٠٠٩)، ومسلم برقم (٢٤٠٦) ، واللفظ له.

وحمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسه الشيء.

• النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعلاجه لمشكلة الفقر والبطالة: (١)

لقد اهتمَّ الإسلام بمشكلتَي الفقر والبطالة، وحرص على علاجهما – قبل نشوئهما – بوسائل متعدِّدة حفاظًا على المجتمع المسلم من الأخطار التي قد تصيبه أخلاقيًّا وسلوكيًّا وعقائديًّا، حيث تؤكد الإحصائيات العلمية أن للفقر والبطالة آثارًا سيِّئة على الصحة النفسية، وخاصة عند الأشخاص الذين يفتقدون الوازع الدينيِّ، حيث يُقدِم بعضُهم على شرب الخمور، كما تزداد نسبة الجريمة - كالقتل والاعتداء - بين هؤلاء العاطلين، لذلك كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يستعيذ كثيرًا من الفقر، بل ويجمعه في دعاء واحد مع الكفر، فيقول: { **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ....**}(٢).

ولنتدبَّرْ منهج النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حلِّ هذه المشكلة:

• حيث بدأ بتشجيع الناس على مزاولة الأعمال، وبعض المِهَنِ والصناعات، كما كان يفعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين أعطوا القدوة والمثل الأعلى في العمل والكسب الحلال، فقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلاَمُ: { **مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ ، كَانَ**

---

١) مستفاد من كتاب "أسوة للعاملين" ص (١٧٢)، وما بعدها .

٢) رواه أبو داود برقم (٥٠٩٠)، والنسائي برقم (١٣٤٧)، وأحمد برقم (٢٠٣٨١)، وقال شعيب الأرناءوط: إسناده قوي على شرط مسلم. والحاكم برقم (٩٢٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ... ووافقه الذهبي.

يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ }(١).

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القدوة والمثل الذي يُحتَذي به في هذا المجال؛ حيث كان يرعى الغنم، ويزاول التجارة بأموال خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل بعثته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ** } ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: { **نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ** }(٢).

• كما كانت نظرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعمل نظرة تقدير واحترام، مهما كانت طبيعته، فإنه خير من سؤال الناس والذلة بين أيديهم، ويصوِّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الأمر بقوله: { **لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ** }(٣).

• كما تتفرَّد النظرة النبوية للعمل كذلك بأنها تربط بين العمل وثواب الله في الآخرة.

• وقد شجَّع النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشاريعَ الاقتصاديةَ بين المسلمين، وحثَّهم على المزارعة(٤)، كما فعل الأنصار مع إخوانهم المهاجرين الفقراء، الذين قدموا على

---

١) رواه البخاري برقم (٢٠٧٢).
٢) رواه البخاري برقم (٢٢٦٢).
٣) رواه البخاري برقم (١٤٧١).
٤) المزارعة: إعطاء الأرض لمن يزرعها على أن يكون له نصيب مما يخرج منها كالنصف أو الثلث، انظر: تاج العروس باب العين فصل الزاي (زرع) ٢١/ ١٤٩.

المدينة بلا أدنى مال.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « قَالَتِ الأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قَالَ: { لاَ } فَقَالُوا: تَكْفُونَا المَئُونَةَ، وَنَشْرَكْكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا »(١).

• وحرَّم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّبا لما له من مضارٍّ على فقراء المجتمع؛ فهو يعوق التنمية، ويسبب التخلُّف، ويزيد الفقير فقرًا؛ مما يؤدي إلى الهلاك؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ** }، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: { **الشِّرْكُ بِاللهِ، .. وَأَكْلُ الرِّبَا،..** }(٢).

• وقد كانت سيرَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تطبيقًا عمليًّا لهذه المبادئ والقيم، التي تعمل على حل مشكلتَي الفقر والبطالة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: {**أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟**} قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: {**ائْتِنِي بِهِمَا**} ، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: {**مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟**} قَالَ رَجُلٌ: أَنَا، آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ: {**مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا**} ، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: {**اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا**

---

١) رواه البخاري برقم (٢٣٢٥).

٢) رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ} ، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: {اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا} ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ }(١).

فكانت معالجته معالجة عملية؛ استخدم فيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل الطاقات والإمكانات المتوفرة لدى الشخص الفقير، وإن تضاءلت ؛ حيث علمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف يجلب الرزق الحلال من خلال عمل شريف.

• أما إذا ضاقت الحال، ولم يجد الإنسان عملًا، وأصبح فقيرًا محتاجًا، فعلاج الإسلام حينئذ لهذه المشكلة هو أن يكفل الأغنياءُ الموسرون أقاربَهم الفقراء، وذلك لما بينهم من الرَّحِم والقَرابةِ، وقد وصفه الله عز وجل بأنه حقٌّ من الحقوق الواجبة بين الأقارب، فقال تعالى ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ (الروم: ٣٨).

---

١) رواه أبو داود برقم (١٦٤١)، وابن ماجه برقم (٢١٩٨)، وأحمد برقم (١٢١٣٤)، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٢٩١).

ومعنى يسأله: أي يطلب منه أن يعطيه شيئًا من المال والحِلس: كساء غليظ، يلي ظهر البعير تحت القتب، وحلس البيت ما يبسط تحت حر المتاع من مسح (كساء من الشعر) ونحوه- والقعب: القدح الضخم الغليظ الجافي، وقيل:قدح من خشب مقعر - ومدقع: أي شديد يفضي بصاحبه إلى الدقاع وهو التراب،- وذو الدم الموجع: هو من يتحمل دية فيسعى فيها، حتى يؤديها إلى أولياء المقتول، فإن لم يؤدها قتل المحتمل عنه فيوجعه قتله، انظر: لسان العرب، وتاج العروس.

ثُمَّ تَأْتِي السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ خَيْرَ تَطْبِيقٍ لِهَذَا الْحَقِّ، وَتُرَتِّبُ أَوْلَوِيَّات التَّكَافُلِ لَدَى كُلِّ مُسْلِمٍ.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **{أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟}**، فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: **{مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟}** فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ الله الْعَدَوِيُّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **{ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا}**، يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ »(١).

• وَإِذَا عَجَزَ الْأَقَارِبُ الْأَغْنِيَاءُ عَنْ سَدِّ حَاجَةِ الْفُقَرَاءِ جَاءَ دَوْرُ الْمُجْتَمَعِ كَكُلٍّ؛ مُتَمَثِّلا فِي الزَّكَاةِ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ لِلْفُقَرَاءِ مِنْ أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَهَا مَقْصُورَةً عَلَى الْفَقِيرِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَمَلَ وَالْكَسْبَ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ، وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ }**(٢). وَبِهَذَا لَمْ يَجْعَلِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُتَبَطِّلٍ كَسُولٍ حَقًّا فِي الصَّدَقَاتِ؛ لِيَدْفَعَ الْقَادِرِينَ إِلَى الْعَمَلِ وَالْكَسْبِ.

---

١) رواه البخاري برقم (٢١٤١)، ومسلم برقم (٩٩٧)، واللفظ له.

٢) رواه أبو داود برقم (١٦٣٤)، والنسائي برقم (٢٥٩٧)، وابن ماجه برقم (١٨٣٩)، والترمذي برقم (٦٥٢)، وحسَّنه. - والمِرَّة: القوة، أي ولا لقويٍّ على الكسب- وسَوِيٍّ: أي صحيح البدن تام الخلقة، انظر: عون المعبود العظيم آبادي: ٥/ ٣٠.

• أَمَّا إِذَا عَجَزَتِ الزَّكَاةُ فَإِنَّ الْخِزَانَةَ الْعَامَّةَ لِلدَّوْلَةِ الْمُسْلِمَةِ بِكَافَّةِ مَوَارِدِهَا تَكُونُ هِيَ الْحَلُّ لِمُعَالَجَةِ مُشْكِلَةِ الْفَقْرِ وَالْبَطَالَةِ، وَالْمُوْئِلَ لِكُلِّ فَقِيرٍ وَذِي حَاجَةٍ – مُسْلِمًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُسْلِمٍ – وَخَيْرُ شَاهِدٍ عَلَى ذَلِكَ مِنْ سِيرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ مَعَ أَهْلِ الصُّفَّةِ(١).

وَإِذَا بَقِيَ فِي الْمُجْتَمَعِ فَقِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الْعَمَلَ؛ وَجَبَ عَلَى الْمُجْتَمَعِ كُلِّهِ أَنْ يُخْرِجَ الصَّدَقَاتِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَثَوَابِهِ، وَهَذِهِ مَزِيَّةٌ تَمَيَّزَ بِهَا الْإِسْلَامُ عَنْ غَيْرِ مِنْ الْمُعَالَجَاتِ الْبَشَرِيَّةِ لِلْمُشْكِلَةِ، فَهَا هُوَ ذَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الْإِنْفَاقَ،

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمِ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ }**(٢).

---

١) أهل الصفة: هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه.

٢) رواه مسلم برقم (١٠١٧).

بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَبَادِئِ يَنْهَضُ الْمُجْتَمَعُ عَلَى قَوَاعِدَ رَاسِخَةٍ، وَأُسُسٍ قَوِيَّةٍ فَلَا حِقْدَ وَلَا حَسَدَ وَلَا احْتِكَارَ وَلَا طُغْيَانَ.

***

• **النَّبيّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وحقوق الإنسان**:(١)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ (الإسراء).

فَالْإِنْسَانُ كَائِنٌ مُكَرَّمٌ وَمُعَظَّمٌ فِي دِينِنَا. وَسُنَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ شَاهِدٍ عَلَى ذَلِكَ، فَفِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ- الَّتِي كَانَتْ بِمَثَابَةِ تَقْرِيرٍ شَامِلٍ لِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ- قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {.. **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ..**}(٢).

• كَمَا نَجِدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَظِّمُ مِنْ شَأْنِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَامَّةً، فَيَحْفَظُ لَهَا أَعْظَمَ حُقُوقِهَا ، وَهُوَ حَقُّ الْحَيَاةِ ، فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ: { **الْإِشْرَاكُ بِاللهِ..**- وذكر منها- **وَقَتْلُ النَّفْسِ...**}(٣). فَجَاءَتْ كَلِمَةُ النَّفْسِ عَامَّةً لِتَشْمَلَ أَيَّ نَفْسٍ تُقْتَلُ دُونَ وَجْهِ حَقٍّ.

---

١) انظر: "أسوة للعاملين" ص (٦٩)، وما بعدها.

٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (١٧٤١)، ومسلم برقم (١٦٧٩).

٣) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٢٦٥٣)، ومسلم برقم (٨٨).

• وَقَدْ ذَهَبَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ حِينَ حَمَى حَيَاةَ الْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ بِتَحْرِيمِ الِانْتِحَارِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارَ جَهَنَّمَ، يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبدًا }**(١).

• كَمَا حَرَّمَ الْإِسْلَامُ كُلَّ عَمَلٍ يَنْتَقِصُ مِنْ حَقِّ الْحَيَاةِ، سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الْعَمَلُ تَخْوِيفا، أَوْ إِهَانَةً أَوْ ضَرْبًا.. فَعَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا }**(٢).

• وَيَأْتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ لِيُؤَكِّدَ عَلَى مِيزانِ التَّفَاضُلِ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا؛ بَيْنَ الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَبَيْنَ الْأَجْنَاسِ وَالشُّعُوبِ، وَبَيْنَ الْحُكَّامِ وَالْمَحْكُومِينَ، وَبَيْنَ الْوُلَاةِ والرَّعِيَّةِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى }**(٣).

وَهُنَا يَأْتِي خُلُقُ الْعَدْلِ، الَّذِي عَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ لِصَحَابَتِهِ وَأُمَّتِهِ، فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ، وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ؛ فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ**

---

١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٧٧٨)، ومسلم برقم (١٠٩).
٢) رواه مسلم برقم (٢٦١٣).
٣) رواه أحمد برقم (٢٣٤٨٩)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٧٠٠).

فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ }(١).

• وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهي كذلك عن مصادرة حق الفرد في الدفاع عن نفسه تحرِّيًا للعدالة، فيقول: {..فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا.. }(٢).

وَقَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا: { إِنَّ اللهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ، وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ، فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ، فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ، كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ }(٣).

• وَمِنْ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ- أيضًا- الَّتِي شَرَعَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَقُّ حُرِيَّةِ الْعَقِيدَةِ وَالِاعْتِقَادِ، وَذَلِكَ انْطِلَاقا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾.

• وَتَمْتَدُّ قَائِمَةُ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَشْمَلَ- أيضًا- حُرِّيَّةَ الرَّأْيِ وَالتَّفْكِيرِ، فَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحترم رأي الآخرين ويشجِّعه، وكان حين يرى رأيًا ويرى بعض أصحابه خلافه وفيه المصلحة يرجع عن رأيه إلى رأي من يخالفه، وما حدَث في أُحُدٍ خير شاهد على ذلك؛ حيث نزل النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رأي الشباب - وكانوا الأغلبية - الذي فضل الخروج لملاقاة قريش خارج

---

١) رواه أبو داود برقم (٣٥٧٣) وقال: هذا أصحُّ شيء فيه: والترمذي برقم (١٣٢٢)، وابن ماجه برقم (٢٣١٥)، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٤٤٤٦).
٢) رواه البخاري برقم (٢٣٠٦)، ومسلم برقم (١٦٠١).
٣) رواه أبو داود برقم (٣٥٨٢)، وأحمد برقم (٨٨٢)، والترمذي برقم (١٣٣١)، وحسَّنه.

المدينة، وكان هذا الرأي مخالفًا لرأيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

وفي حقٍّ فريد يختصُّ بتشريعه- ولم يتطرَّق إليه نظام وضعيٌّ ولا ميثاق من مواثيق حقوق الإنسان- يأتي حق الكفاية، ومعناه أن يحصل كل فرد يعيش في كنف الدولة الإسلامية على كفايته من مقومات الحياة؛ بحيث يحيا حياة كريمة، ويتحقق له المستوى اللائق للمعيشة، وهو يختلف عن حدِّ الكفاف الذي تحدثت عنه النظم الوضعية، والذي يعني الحد الأدنى لمعيشة الإنسان(٢).

وَحَقُّ الْكِفَايَةِ هَذَا يَتَحَقَّقُ بِالْعَمَلِ، فَإِذَا عَجَزَ الْفَرْدُ فَالزَّكَاةُ تَسُدُّ هَذَا الْعَجْزَ، فَإِذَا عَجَزَتِ الزَّكَاةُ عَنْ سَدِّ كِفَايَةِ الْمُحْتَاجِينَ تَأْتِي مِيزَانِيَّةُ الدَّوْلَةِ لِسَدَادِ هَذِهِ الْكِفَايَةِ، وَلَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَكِّدًا عَلَى هَذَا الْحَقِّ: **{ مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ }**(٣). وَقَالَ مَادِحًا: **{ إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ }**(٤).

هكذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرائد الأول والراعي الأعظم لحقوق

---

١) السُّنن الكبرى للبيهقي: (١٣٠٦١)، الروض الأنف للسهيلي (٥/ ٢٤٥، ٢٤٦)، عيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٤١٢)، السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٢٤).

٢) "موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام" خديجة النبراوي: ص(٥٠٥- ٥٠٩).

٣) رواه الحاكم برقم (٧٣٠٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٥١) واللفظ له، والبيهقي: شعب الإيمان (٣١١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٥٠٥).

٤) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٢٤٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٠٠).

الإنسان، ورسالته التي حملها للعالمين جميعًا رسالة إنسانية، شملت برعايتها جميع الحقوق التي تتعلق بالإنسان كإنسان.

واليومَ :

أنادي جماعات حقوق الإنسان التي تستمد قوانينها من أوربا ويتحدثون عن المواثيق الدولية التي وضعتها دول قام بعضها على كرامة الإنسان أناديهم: أن عودوا إلى ربكم وهدي نبيكم، ولْنتخَيَّلْ معًا ماذا لو طبَّقنا تعاليمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

*****